

# فن الأراجوز يحتضر والحل في تدريب الشباب

## مسرح العرائس في مصر يفقد بصمة عميده العم صابر

بعد ربع قرن من العطاء والتنقل محليا وإقليميا لنشر البهجة بين الناس غيب الموت عم صابر المصري، تاركا موروثا فلكلوريا من عروض متنوعة في فن الأراجوز، وقد ساهم في إدراج هذا الفن المصري الشعبي في التراث اللامادي باليونسكو، بالإضافة إلى أنه عمل إلى جانب فرقة "ومضة" بمساعدة مؤسسها نبيل بهجت، للحفاظ على هذا الفن من الاندثار وذلك بتدريب الشباب على كيفية التعامل مع الدمى.

محمد الحمامصي

فقد مسرح العرائس أكبر وأشهر لاعب أراجوز في مصر، وهو مصطفى عثمان المعروف فنيا باسم صابر المصري، الذي تتلمذ على يد الفنان القدير محمود شكوكو، وكان يعمل بفرقة "ومضة" التي حافظت على هذا الفن من الاندثار وأعادته إلى واجهة التراث الشعبي المصري، بتدريب الشباب داخل وخارج البلاد على كيفية التعامل مع تلك الدمى.

وأكد نبيل بهجت، أستاذ علوم المسرح ومؤسس فرقة ومضة، خلال حفل تابين شيخ لاعبي الأراجوز، أن عم صابر كان "آخر الكونز البشرية الحية لفن الأراجوز". وأضاف أن عم صابر انتصر لثقافة الشعب المصري وظل ينشر البهجة طوال حياته، حيث حمل الأراجوز من الأسواق والموائد والأحياء الفقيرة إلى أن وصل به إلى العالمية، وقبل أن يرحل تم الاعتراف عالميا بفن الأراجوز من خلال منظمة اليونسكو كأحد أهم الفنون البشرية التي يجب الحفاظ عليها من الانقراض.

وكانت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)، قد أدرجت في نوفمبر 2018، "الأراجوز" في مصر على قوائم التراث الثقافي غير المادي. وتعد عروض الأراجوز أحد الأشكال التي تنتمي إلى ما يعرف باسم "مسرح العرائس" في مصر، وتعتمد على استخدام دمية يدوية تقليدية في حكي القصص، يركبها شخص بأصابعه من خلف ستار ويستخدم فيها صوتا غير مألوف لشد الانتباه.

ويذكر أن الأراجوز هو النوع الثالث من الفنون المصرية، الذي يتم تسجيله في قائمة التراث الثقافي غير المادي في اليونسكو، ففي عام 2008 أدرجت السيرة الهلالية في هذه القائمة، وفي عام 2016 أدرج فن التحطيب (رقصة فلكلورية) كتراث مصري غير مادي.

ويشهد فن الأراجوز الذي يعود إلى العصر المملوكي (1250 - 1517) انحسارا في الآونة الأخيرة لقلّة عدد فنّانيه وسلطنة وسائل الإعلام الحديثة. وتابع نبيل بهجت أن عم صابر المصري الذي كان يقول دائما عن نفسه إنه "أكبر مسرح وأصغر مسرح (...)

أضحك بفنه ملايين الأطفال حول العالم، حيث ظل يحمل رسالة الأمل والفرح والبهجة حتى وافته المنية أوائل شهر أكتوبر الحالي. إن تتامل في قسّمات وجهه فلا ترى إلا الوطن.. تسمع صوت أمانته يحيط بالمكان، فتتسرق وجوه الأطفال بالضحك حتى تغرورق أعينهم بالأمم". وقال أستاذ علوم المسرح "كان عم صابر يصنع من قلب الجوع والفقر والقهر الضحكات، ليحملها إلى الناس من دون مقابل؛ أن تصنع من قلب الجوع والفقر والقهر الضحكات فذلك عبادة، أن تحملها إلى الناس وتصلي صلاة الفرح وتلزم باب الفرح على الدوام فذلك عبادة، أن تحيا مثل المصباح في قلب العتمة لتنير لأهل الدرب طريقهم فذلك عبادة.. مولاي الحمل ثقيل، ففي صحبة عم صابر تشعرك بانك في حضرة عشق صوفي، هو إمام الفرح فيها، سألته عن شعوره بالضحكات التي تنهمر عليه ولا يراها؛ فأجاب: قلبي يراها.. ولسان حاله يقول: قلوب الموروثين لها عيون.. ترى ما لا يراه الناظرون".

وواصل موضعا "عشت في حضرة عم صابر عشرين عاما أنهل من فيضه، أرتحل معه محاولا إحياء فني الأراجوز وخيال الظل، وإعادتهما إلى الحياة، وإلى الناس والشوارع، علمنا كفرقة لننتزع اعترافا محليا وعربيا وعالميا بهذين الفنين وبفنايهما الحقيقيين من حملة الموروث الشعبي، وكى نخلق جيلا يتلقى فن الأراجوز ليستمر..

شارك في العديد من المشروعات والمبادرات التي أطلقتها الفرقة ومنها: مشروع إعادة الأراجوز إلى الشارع والذي بدأ منذ 2003، مشروع دراما في الفصل المدرسي والذي بدأ منذ 2007، مشروع "هنروح للناس مسرح بيلاش" في العام 2013، وشارك بعروضه في عمل مشروع الأرشيف القومي للأراجوز المصري والذي أصدره المجلس الأعلى للثقافة في سنة 2012. وقدم عم صابر عددا من العروض أهمها مع فرقة ومضة: على الأبواب، حكايات الأراجوز



عرائس تروي بصوت فنائنا قصصا



بعث رسائل الفرح والبهجة بين الحضور

هو "نو العين السوداء" وذلك دلالة على سوداوية النظر إلى الحياة.

وينقسم مسرح الأراجوز إلى مساحتين داخلية وخارجية، فمن الخارج هو عبارة عن عربة، أما من الداخل فالعربة عبارة عن مسرح بكل معايير البناء المسرحي في أبسط أشكاله، والعربة متنقلة بين الأحياء الشعبية حسب الموائد والأعياد.



فن الأراجوز يشهد انحسارا في الآونة الأخيرة لقلّة عدد فنّانيه وسلطنة وسائل الإعلام الحديثة

وتجدر الإشارة، إلى أن عروض الأراجوز تصارع اليوم من أجل البقاء أمام زحمة الفضائيات وظهور الإنترنت من خلال بعض لاعبي الأراجوز القلائل الذين ما زالوا يجوبون شوارع وأحياء مصر الشعبية، لكنهم يأسفون على حال الأراجوز الذي بدأ يغيب عن الساحات ولا يظهر إلا نادرا في المناسبات، وهم اليوم يغنون "على الأراجوز يا سلام سلم".

وكذلك تكميمه من الهيئة العربية للمسرح في 2015.

أطلق عم صابر عددا من الأمنيات قبل رحيله وكان آخر ما أطلقه من أمنياته بعد أن تجاوز الثمانين حيث قال "اليوم وبعد أن تجاوز عمري 80 عاما وفقدت بصري تماما أعلن أنني ساستمر في نشر السعادة والضحك لكل الناس، لم أفقد الأمل يوما في قدرتنا على صنع عالم سعيد، فلا تفقدوا الأمل في ذلك. أقول لكم لقد عشت حروبا وصراعات انتهت جميعها وبقي الإنسان، فلا يدفعكم الاختلاف إلى التخلي عن القيم الإنسانية. توقفوا عن صناعة الموت وافسحوا الطريق للتعايش من الأمل والحياة. انبذوا الكراهية. أناشد الجميع حكاما وشعبا بالتوقف عن صناعة الموت، لا تحكموا العالم بالخشوف والياس والجهل، واحكموا بالحب والأمل والعلم. إن مقياس تقدم العالم هو قدرته على إنهاء الصراع والقتل والعنف والمرض والجهل وما زال العالم يئن تحت ذلك كله، علينا أن نعمل جميعا نحو تحقيق تقدم يسعد الجميع لذا أناشد كل أطراف الصراع في العالم بوقف كل أشكال العنف والاضطهاد. ولنحمي الأطفال فهم الملاك الحقيقيون لهذا العالم أعطوهم الحب والحياة ميراثا".

وختم نبيل بهجت بالقول "هكذا عاش عم صابر حياته لمصر حيث لقب نفسه بالمصري، وكانت رسالته البهجة والفرح وأن يكون الجيل الجديد صالحا. هكذا رغم كبر سنه وفقدان بصره لم يتوقف أبدا عن نشر البهجة والفرح. كان نموذجا حيا للفعل الإنساني الذي تمنى أن يعم البشرية إنه عم صابر آخر الكونز البشرية الحية".

فن الأراجوز أو القراقوز وهناك من يسميه الدمى المتحركة، هي كلمة ذات أصل تركي لكلمة "قرة قوز" والتي تتكون من مقطعين هما "قرة" بمعنى سوداء و"قوز" بمعنى عين، وبذلك يصبح المعنى العام لكلمة "قرة قوز" سلطان القاسمي في 2016.

المصري، حكمة الأراجوز، أراجوز في مزار، هكذا تكلم الأراجوز، صندوق الحكايات، السندباد، جحا المصري وجحا الإيطالي، أراجوز دوت كوم، عرايسنا، ما أحلاها الأيدي الشغالة، على الزبيق، أحلام ملك، جحا وحاكم المدينة، شعبيات، الفلاح الفصيح حكايات كتاب، التمساح، شارع المعز، ملاعب شجيه، جحا والحياة، العرض الأخير، البط، عن الحب عن الخوف نحكي، ما فيش مشكلة، أصل الحكاية إيه، قزب وانفراج، بكره أكلني، ورحلة الأراجوز، وصندوق الحكايات وحكمة الأراجوز، وغيرها من العروض، وهي من تأليف وإخراج نبيل بهجت.

وقدم عم صابر هذه العروض في العديد من دول العالم، حيث مثل مصر رسميا في كل من الدول الآتية: إيطاليا، إسبانيا، فرنسا، اليونان، تونس، موريتانيا، الكويت، البحرين، الإمارات، وغيرها من البلدان. كما قدم منذ عام 2007 وحتى وفاته مع فرقة ومضة عرضا أسبوعيا في بيت السحيمي يوم الجمعة من كل أسبوع بالمجان للجمهور. وهكذا ساهم في إحياء هذا الفن، وحصل على العديد من شهادات التقدير والدروع من جهات مختلفة منها: وزارة الثقافة التونسية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت، المكتب الثقافي المصري بموريتانيا، المكتب الثقافي المصري بفرنسا، والمكتب الثقافي المصري بالكويت. وكانت أهم الجوائز التي حصل عليها في حياته جائزة الكونز البشرية الحية من الشيخ سلطان القاسمي في 2016.



عاش مصطفى عثمان محاولا إحياء فني الأراجوز وخيال الظل وإعادتهما إلى الحياة وإلى الناس والشوارع، عمل لينتزع اعترافا محليا وعربيا وعالميا بهذين الفنين وبفنايهما الحقيقيين من حملة الموروث الشعبي



صناعة تعاند الاندثار